المسألة الوطنية هي الحد الفاصل

بين جبهة التحرير الوطني والحزب الشيوعي الجزائري

أ/ حسينة حماميد
أستاذ محاضر -أ-
شعبة التاريخ -قسم العلوم الإنسانية
جامعة باتنة

ملخص:

(جبهة التحرير الوطني) دخلت التاريخ من بابه الواسع، لأنها استطاعت جمع القوى السياسية الجزائرية، على اختلاف اتجاهاتها ومناهلها الثقافية والفكرية، على صعيد واحد لتحرير البلاد من (الاستعمار الفرنسي). كما يكمن سر نجاح الجبهة في أصالة إيديولوجيتها، حيث أنها لم تقم باستيراد أفكارها كما روج لذلك دعاة الاستعمار وزبانيتهم من اندماجيين وشيوعيين، بل كانت نابعة من جذور الواقع الجزائري وتراثه العريق. وبتعبير آخر نقول أن إيديولوجية جبهة التحرير الوطني كانت استمرارا لإيديولوجية الحركة الوطنية الثورية والإصلاحية اللذين أثرا بشكل كبير فيها. أما التيار الاندماجي فقد كان تأثيره أقل ، وأقل منه كان تأثير التيار الشيوعي ومحدوديته الذي تمثل في مبدأ العدالة الاجتماعية ومبدأ المساواة. ووقوفه معارضا أمام المسألة الوطنية التي كانت القاعدة الجوهرية التي تأسست من أجلها الحركة الوطنية الاستقلالية. أما البديل الذي قدمه (الحزب الشيوعي الجزائري) فهو تبنيه لنظرية الجزائر (أمة في طور التكوين) التي أعلنها أمين عام الحزب الشيوعي الفرنسي موريس توريز سنة 1939. ومع هذا فقد

حاولت جبهة التحرير استيعاب واحتواء بعض قيادات الحزب الشيوعي الجزائري، كما انتهجت سياسة مغايرة في مؤتمر الصومام الذي دعا كل الشرائح الجزائرية مسلمين وغير المسلمين للانضمام إلى الجبهة. هذه القضية التي أثارت جدلا وصراعات وانقسامات بين قيادات الثورة، وجعلتهم يقولون بأن نظرية "توريز" عدلت من الجزائر أمة في طور التكوين إلى الجزائر التي توحدها (رابطة الآمال) لـ"أرنست رينان".

مقدمة:

أدى اهتمام الباحثين الجزائريين المحليين بدراسة تاريخ الثورة الجزائرية ومنجزاتها ومؤسساتها وعلاقاتها الخارجية، إلى ترك مجال البحث في جذور العلاقة بين جبهة التحرير الوطني والتيارات السياسية الأخرى للأقلام الفرنسية التي سيطرت وهيمنت على الأبحاث التي تتناول أسباب وجذور وخلفيات تطور العلاقة بين جبهة التحرير الوطني والحزب الشيوعي الجزائري . والجدير بالذكر أن الكتابات الجزائرية تكاد تتفق على طرح واحد ووحيد بخصوص الحزب الشيوعي الجزائري ،حيث تنعته بالحزب المعزول وغير الأصيل، وهناك من ذهب إلى القول بأن هذا الحزب لا ينتمي إلى تشكيلات الحركة الوطنية الجزائرية وإلى غير ذلك من النعوت.

وإذا كنا نجد ما يبرر وجود مئات الكتب وآلاف المقالات التي عالجت مختلف جوانب الثورة الجزائرية على أيدي كتاب ومؤلفين أجانب -وهي في أغلبها ذات صبغة سياسية يغلب عليها طابع الانحياز إلى الاستعمار الفرنسي - إلى الاهتمام الكبير الذي حظيت به الثورة الجزائرية في الخارج، فإننا من جهة أخرى نقر لهؤلاء الأجانب بحقيقة السبق التاريخي ، وقدم التجربة في الكتابة التاريخية .في حين نزعم دائما بأن تاريخنا لم يكتب، وأن التجربة الجزائرية في الكتابة التاريخية حديثة، ولا نقر بحقيقة مفادها أن هناك عجز كامن في الذات الجزائرية، أو قصور في امتلاك تصور واضح عن أهمية البحث في مثل هذه القضايا التاريخية . ويمكن إرجاع سبب ذلك إلى

الصعوبات المتعلقة بالإنماء المعرفي لهذه المواضيع ذات المنشأ الجزائري، وإمكانية دمجها في التراكمات المعرفية ، مع إحاطتها بالانجازات والتجارب والشهادات التاريخية ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، مستويات الاهتمام بتناولها بالدراسة والتحليل والفحص والنقد، لغرض إنمائها وتطويرها وإنضاجها.

وعلى هذا الأساس، آثرنا الخوض في موضوع كان ولا يزال في الظل، عن طريق ربط الإحداث والتنسيق بينها انطلاقا من أول احتكاك بين الشيوعيين الجزائريين والوطنيين الجزائريين الثوريين وكشف نوعية العلاقة بينهما، ثم تتبع التطورات التي طرأت على تلك العلاقة قبل اندلاع الثورة الجزائرية . ثم رصد طبيعة المواقف التي تبناها الحزب الشيوعي الجزائري من اندلاع الثورة الجزائرية، وسياسة جبهة التحرير الوطني إزاء ذلك الموقف. ثم نحاول تحليل تغير موقف وسياسة الحزب الشيوعي الجزائري اتجاه جبهة التحرير الوطني، وتقلبات ذلك الموقف، لنقف على أهم النقاط التي كشفت عن غموض الرؤى والضبابية الإيديولوجية للحزب الشيوعي الجزائري والتي برزت علنا في مؤتمر الصومام 1956.

في معالجتنا لموضوع: المسألة الوطنية هي الحد الفاصل بين الحزب الشيوعي الجزائري وجبهة التحرير الوطني سنحاول تجديد منهج البحث فلا نسعى إلى تدوين الأحداث والوقائع وسردها وفق تسلسل كرونولوجي، بل سنبحث في وجهات نظر وتصورات، وهذا هو المنهج الجديد في كتابة التاريخ. فالتاريخ هنا ليس اسما لكيان يتكون من بضع حوادث تروى وتسرد هكذا ، بل سنحاول إيجاد التاريخ في هذا المشروع هو فعل التاريخ كعملية إنتاج لممارسة ثقافية تقوم على تصورات وافتراضات تفصح عن نفسها بدلا من أن تختبئ عن عيون القراء. لنتجاوز مرحلة تقديس التاريخ بصفته قدرا محتوما إلى إعادة فهم التاريخ بصفته فاعلية حققها أسلافنا.

نظرية الأمة في طور التكوين:

في اجتماع عقد في الجزائر في 11 فيفري 1939، وأمام 9000 أوروبي و1000 مسلم، ألقى زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي خطابا أعلن فيه عن مفهوم الأمة في الجزائر حيث قال:" هناك الأمة الجزائرية التي هي في طور التكوين والتي يمكن تسهيل تطورها ومساعدتها بمجهود الجمهورية الفرنسية... أحفاد أولئك الأمازيغ...وأحفاد أولئك القرطاجيين ، وأولئك الرومان...وأبناء العرب...وأيضا أبناء الأتراك...وأبناء اليهود... من هؤلاء كلهم هناك أمة جزائرية في طور التكوين، خليطا من عشرين جنسا..."(نايت بلقاسم، مصدر سابق، ص25-26). انتقد نايت بلقاسم أطروحة توريز من حيث الصياغة حيث أعاب عليه ذكر أحد عشر جنسا من العشرين التي تتكون منهم هذه الأمة الجزائرية من دون ذكر الأجناس التسعة الباقية بهدف ترك أبواب التأويل والمؤامرات لفرنسا لتنسج ما تريده بالجزائر وبشعبها.

أما تفسير هذه الأطروحة فهي تعني العدول من قبل الجزائريين عن أي تصور أو إمكانية تسمح يوما ما بقيام دولة جزائرية، لأن هذه الدولة الجزائرية كانت في مرحلة المخاض. هذه المرحلة التي لا تساعد على قيام دولة طالما هذه الأخير تحتاج إلى دعامة أساسية متمثلة في الأمة. من جهة أخرى نلاحظ بأن هذا التاريخ الذي اختاره "توريز" لإعلان هذه الفكرة ليس وليد الصدفة، فهو استمرار للموقف الذي أعلنه سنة 1936، والمتمثل في معارضته لأي فكرة استقلالية في المستعمرات حيث قال:"لا وجود لجمهورية قوية دون إمبراطورية واسعة...."(خيثر، مرجع سابق. ص 287). إن قراءة بسيطة لهذه العبارة تبين بأن الأيديولوجية هي الأساس الذي يقوم عليه الفكر الشيوعي الفرنسي، وهي منطلقة من الواقع الاستعماري الذي تفرضه فرنسا الإمبراطورية.

أما التوقيت الذي أعلنت فيه هذه النظرية فنفسره باستقواء التيار الوطني الاستقلالي في تلك الفترة بقيادة حزب الشعب الجزائري الذي جعل المسألة الوطنية واقعا يفرض نفسه بقوة على الساحة السياسية. وكرد على ذلك رأت الحكومة الفرنسية ذات الأغلبية الشيوعية، بتحويل الاختلافات الجهوية إلى خصوصيات وصراعات، والعمل على إثارتها بهدف تفجير المجتمع. وإذا كان غير ذلك فكيف نفسر مصطلح "أمة في طور التكوين" ؟ وكيف نفسر عبارة "في خليط من عشرين عرقا"؟ (محساس، أ. مصدر سابق.ص 177) واستنادا لما سبق ذكره، نقول بأن هذه النظرية عبارة عن تطعيم مضاد لكل فكرة وطنية استقلالية، وهي تهدف إلى زرع فكرة الاعتقاد ثم القبول ثم الإيمان بالقابلية للاندماج في نظام الإمبراطورية الفرنسية.

لكن الأحداث 8 ماي 1945 التي أعقبت تلك الفترة جاءت لتؤكد فشل وعجز نظرية "الجزائر أمة في طور التكوين"،بالرغم من أن جرائد الحزب الشيوعي الجزائري ظلت تروج لتلك النظرية حتى للسنة الأولى للثورة التحريرية، حيث عجزت هذه الأطروحة اختراق صفوف الجزائريين الذين أعلنوا رفضهم علانية لكل أشكال الاندماج في النظام الاستعماري الفرنسي. كما عبرت المظاهرات الذي نظمها الوطنيون الجزائريون عن غياب أدنى مصلحة، أو أدنى إرادة للبقاء في الفلك النظام الفرنسي، وما يمثله هذا النظام من مصالح لصالح الدولة الاستعمارية والأقلية الأوروبية في الجزائر.

هذا وقد تكفل الحزب الشيوعي في الجزائر نيابة عن الحزب الشيوعي الفرنسي، بالرد على أماني الجزائريين؛ فالحزب الشيوعي الجزائري لم يرفض الفكرة الوطنية التي كانت شعار الحركة الوطنية الجزائرية التي توحدت في "أصدقاء البيان والحرية" فقط، بل استمر يعاكس التيار الوطني ويؤكد عزلته بانشاءه "أصدقاء الديمقراطية

والحرية". ولم تأت حركتهم تلك بأي جديد فيما يخص مسألة التحرير الوطني.(محساس، أ. مصدر سابق. ص 215- 227)

أضف إلى ذلك فإن أحداث 8 ماي 1945 كشفت زيف الشعارات والوعود التي تغنى بها الشيوعيون سواء في الجزائر أو في فرنسا، حيث تأسس تحالف –سماه محساس بالمقدس- بين الفاشيين والشيوعيين، للانقضاض على الجزائريين العزل. وجاء كشف المستور على لسان الشيوعيين أنفسهم، حيث أدلى Germarie Tillou و C.H Fourod بشهادة حول ثلاثة أعضاء من الحزب الشيوعي نظموا مليشيات لضرب الجزائريين. وذكر "أوزقان بدوره" بانضمام أعضاء من الحزب الشيوعي الجزائري إلى الميلشيات الأوروبية .(أوزقان، مصدر سابق. ص 69). كما صرح كل من "نية عيسى" ممثل الحزب الشيوعي و"ناجي عيسى" من الاتحاد المحلي للتقارب بشرعية ما فعله نائب عامل العمالة آشياري Achiari بتقتيله للجزائريين. وبصريح العبارة قالوا:" إنه أنقذنا ...إنه تحلى باليقظة اللازمة، ولو كنا مكانه لفعلنا نفس الشيء ..."(محساس، أ. ص 241)

وبخصوص الموقف الرسمي للحزب الشيوعي من حوادث 8 ماي 1945، فقد ذكر "هنري آلاق" الشيوعي بأن قادة الحزب لم تكن لهم نظرة واحدة عن الأسباب الحقيقية للأحداث. يمكن تفسير ما ذكره "آلاق" بأن أعضاء الحزب تتجاهلوا الأسباب الحقيقية لتلك الأحداث أي طموحات الشعب الجزائري للاستقلال تحت قيادة الوطنين الجزائريين، لذلك قاموا بحملة شرسة مناهضة للحركة الوطنية، وبالخصوص حزب الشعب الجزائري. وفي وثيقة تحت عنوان "يسقط المستعمرون الهتلريون" نعت الحزب الشيوعي الجزائري حزب الشعب الجزائري بالمستفز للجماهير، وأنه يتلقى الأوامر من عند هتلر الذي يسعى إلى تفرقة الصفوف. كما تكشف الوثيقة بأن شعار الاستقلال الذي تنادي به الجماهير يزرع الكراهية بين الجزائريين بهدف شق الصفوف، والتي هي من غايات هتلر. وفي منشور للحزب

الشيوعي تم اعتبار أحداث 8 ماي 1945 بالمؤامرة الشيوعية مع نفي حقيقة التمرد العربي تحت عنوان: "لا يوجد تمرد عربي بل مؤامرة فاشية، هذه هي الحقيقة." (زوزو، ح. ص 238) . وتماشيا مع سياسة الخضوع التي يشعر بها الشيوعيون أمام الكولون الذين اتهموهم بالمشاركة في أحداث 8 ماي 1945، رد هؤلاء الشيوعيون على صفحات جريدة حزبهم "الحرية" في 24 ماي 1945 بأنه يستحيل على الشيوعيين التعاون مع الوطنيين المزيفين لحزب الشعب الجزائري الذين نددنا بهم واعتبرناهم جواسيس للحكومة العامة، ومجرمين في خدمة الفاشية.(خيثر، مرجع سابق. ص 292). بالإضافة إلى ذلك، طالب آخرون نذكر من بينهم "ليون فيكس" بمعاقبة مدبري الأحداث من أتباع حزب الشعب الجزائري الذين هم أدوات إجرامية للخيانة العظمى.

لم يكتف الشيوعيون بذلك بل تطورت الأمور إلى حد مشاركتهم في وفد توجه إلى الحكومة العامة في الجزائر للتنديد بتلك الأحداث، وحثها على معاقبة الوطنيين. وذكرت جريدة "الحرية" سابقة الذكر بتلك المقابلة التي جمعت بين أعضاء ذلك الحزب ورئيس ديوان الشؤون السياسية والدبلوماسية لدى الحاكم العام. وكشفت ذات الجريدة عن الروح الاستعمارية التي تجسدت لدى الشيوعيين بهدف ضرب القضية الوطنية، حيث نعتوا أعضاء حزب الشعب بأعوان هتلر الذين يسعون إلى إثارة حرب أهلية، كما حثوا على ضرورة قمعهم ومعاقبتهم. وعلى نفس أعمدة جريدتهم الحرية، أعلن الحزب الشيوعي الفرنسي عن نفس الموقف الاستعماري ضد الحركة الوطنية. وما يثبت ذلك أن هذا الحزب نفى مسؤولية السلطات الاستعمارية في إصدار الأوامر بالقمع، وأرجع المسؤول الحقيقي إلى ضحايا القمع –أي المتظاهرين– الذين وجد بحوزتهم أسلحة أوتوماتيكية. ونددد ذات الحزب بالإدارة المجرمة لحزب الشعب الجزائري المتمثلة في شخص مصالي والتنظيمات المتحالفة معه ويقصد أحباب البيان والحرية. أما التهمة الموجهة لهم

فهي مطالبتهم بالاستقلال لأن الوطنية والأصالة والشخصية لديه تعني الرجعية بكل أبعادها. (نايت بلقاسم، مصدر سابق.ص 23)

في المقابل نجد مواقف لمناضلين شيوعيين فرنسيين أمثال شارل أندري جوليان مناقضة تماما لمواقف زملاءهم الجزائريين، حيث أعاب على الذين ربطوا أسباب الانتفاضة باستفزازات العناصر الفاشستية بدل ربطها بإرادة صادقة في تنظيم ثورة عارمة. وقال أيضا بأن الأدلة التي تتهم فرحات عباس أو الشيخ الإبراهيمي غير موجودة. كما نفى "جوليان" علمه عن كيفية أعداد وتجنيد تلك الجماهير.وأكد من جهة أخرى على مسؤولية أقلية منظمة ومسلحة في تنفيذ أعمال الشغب. وذكر بالإجماع الذي يعتقد في مسؤولية حزب الشعب، لكنه في النهاية قال بأن كل ما يمكن أن نفعله هو توجيه اللوم عل التزام الصمت أمام الجرائم.(محساس، أ.ص 251)

في نفس الإطار ردت جريدة "الإنسانية" على مذكرة لوزارة الداخلية الفرنسية، التي وجهت أصابع الاتهام إلى حزب الشعب وبعض العناصر من حركة أحباب البيان والحرية، عن سبب استمرار مثل هذه الاتهامات ضد المسلمين. وكتبت أيضا بأن وزارة الداخلية نسيت أمرا خطيرا هو: من هم المسؤولون الحقيقيون؟ وكشفت الجريدة بأن أتباع فيشي والفاشيون الفرنسيون هم السبب.

باسم الشيوعيين الفرنسيين دائما تحدث "أندر ي موان" –أحد المناضلين- الفرنسيين المرحلين نحو الجزائر-في لقاء جمعه بـ"هنري ألاق" عن مجازر 8 ماي 1945 قائلا: لقد كنا بالتأكيد مناهضين للاستعمار، وكنا نتلقى الاضطهاد الكولونيالي من بعيد، وبصفة غير ملموسة تماما. بدون أن تكون لنا اتصالات جد مباشرة مع الجماهير المسلمة لنفهم أن الدفاع عن المطالب ذات الطابع الوطني لم تكن فقط مسألة عدل وحق بالنسبة للشيوعيين، غير أنه كان بإمكانها أن تشكل نقطة دعم للتجنيد ضد الهتلريين."(آلاق، ه. ص 142). يحاول هذا المناضل الشيوعي من

خلال ما ذكره أن يلفت الشيوعيين إلى نقطة مهمة وهي عدم استغلالهم لمسائل مثل العدل والحقوق لجذب الجماهير المسلمة، وتكوين جبهة مضادة للهتلرية.

ندد من جهته النائب الشيوعي "فرانسوا بيلو"-أحد الأعضاء السبعة والعشرين الذين سجنوا في سجنMaison-carée ثم شغل منصب وزير الصحة في حكومة الجنرال ديغول- بتصريحات الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر، حيث قال بأنها تستحق الانتقاد حتى لا أقول التنديد. كما نفى أن يكون هو والشيوعيون أمثاله على دراية بحجم أحداث ماي 1945 بسبب سياسة الحكومة الفرنسية التي كانت تخف الكثير. وأضاف بأن ديغول ووزيره للداخلية هما من كان يقومان بتسوية الكثير من الأمور. وفيما يخص المشاركة المباشرة في القمع، نفى "بيلو" مسؤولية الوزراء الشيوعيين المباشرة في هذه القضية، ورد على الإشاعات الخاطئة-حسب رأيه- التي روجت إلى أن وزير القوات الجوية "تيون" كان قد قرر إرسال طائرات ذهبت إلى هناك، وأن ذات الوزير لم يكن ليتخذ أي قرار من وجهة النظر هذه. ولعل الأهم في كل ما قاله هو اعترافه بأن الأمر لا يتعلق بحدث بسيط، وأن ما حدث كان نتيجة لتطور الحركة الوطنية.

نلاحظ من خلال ما سبق ذكره، أولا – عدم الانسجام في مواقف الشيوعيين تجاه حوادث 8 ماي 1945، ففي الوقت الذي اتهم فيه الحزب الشيوعي الجزائري حزب الشعب وحمله المسؤولية الكاملة عن تلك الأحداث، نجد بعض الأعضاء من الشيوعيين الفرنسيين يتخذون مواقف معتدلة فيما يتعلق بالمسألة الوطنية، حتى أن البعض منهم "بيلو" دافع عن المسؤولين الشيوعيين في الحكومة الفرنسية. مع ذلك فقد نسي أو تناسى هؤلاء الشيوعيون بأن الحاكم العام في الجزائر آنذاك كان الشيوعي "إيف شاطينيو" المحسوب على الاتجاه اليساري، والمعروف عنه بأنه كان المساند الكبير لمطالب المسلمين لدرجة أن المستوطنين الأوروبيين في الجزائر نعتوه بـ"محمد شاطينيو". وعلى هذا الأساس نقول كما كتب "آلاق" بأن هذه السياسة

من قبل الشيوعيين الفرنسيين تندرج ضمن منطق السياسة المتبعة من طرف الشيوعيين خلال الحرب، ولأسباب تكتيكية أخروا إلى مرتبة أدنى شعار التحرير الوطني، وهم على علم بأن الطموح إلى الاستقلال الوطني كان يكبر في أعماق الشعب الجزائري. (آلاق، هنري. ص 141)

بصفة عامة نقول بأن إعطاء الخبز للمسلمين كما قال بذلك أمين عام الحزب الشيوعي الجزائري "أوزقان"، وتوجيه تهمة الخيانة العظمى لـ"مصالي" ولأنصاره من الوطنيين هي إستراتيجية المواقف التي تساير نظرية موريس توريز، ذلك أن المجازر التي حدثت كانت بسبب إقدام الوطنيين بالمطالبة بالاستقلال في ظرف غير مناسب، لأن الأمة التي يطالبون بها مازالت أمة جنينية في طور التكوين، وأن الجزائر لم تتبلور بعد لأن تكون أمة وهي لم تنضج، لذلك فإن أدنى تحريك لتلك الفسيفساء المتنوعة من الأجناس سيؤدي إلى تصادم، وعرقيات ونعرات وحساسيات وتنافر وصراع وهو ما حدث فعلا في 8 ماي 1945. ولذلك فهو يرى بأنه الوحيد الذي يستطيع فهم الأمور، وهو الوحيد المخول بتوجيه الأمور وفقا لمصلحة الأم فرنسا.

معنى الاستقلال في أدبيات الحزب الشيوعي الجزائري:

ذكر "هنري علاق" في مذكراته إنه في ظل الاختلاف في الرأي والانقسام والغموض، برز نشاط حركة اتحاد الشبيبة الديمقراطية التي تضم أوروبيين وأغلبية من أوساط عربية وقبائلية شديدة التأثر بالوطنية حسب ما ذكره "آلاق" بدأت تعبر عن مواقفها، وتظهرها أكثر راديكالية من مواقف الحزب الشيوعي. الشيء الذي دفع بالبعض إلى التساؤل عما إذا كان المسيرون بصدد الانزلاق نحو الوطنية. أضف إلى ذلك، فإن هذه الشبيبة الشيوعية لعبت دورا لا يستهان به في توجيه سياسة الحزب، وذلك عند اجتماع دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري في جويلية 1946، بحيث قامت هذه الأخيرة بتحليل نقدي شديد اللهجة

لسوء تقدير الإدارة لقوة الحركة الوطنية، وللسلوك العرقي الذي انتهجته إزاء الوطنيين. واستنتج آلاق بأن الشباب الشيوعي قد أظهر حزما أكبر من قدامى المناضلين على التجسيد العملي للتصحيح المقترح. تمثل ذلك التصحيح في الاتفاق في توقيع هؤلاء الشباب الشيوعي مع بعض حركات الشبيبة -التي كان بعض مسؤوليها منخرطين في حزب مصالي- على نص يصرح بالاستقلال. إنه لأمر غريب أن يتفق الشباب الشيوعي مع الشباب المصالي على كلمة استقلال! ماذا يعني ذلك ؟ هل هو تحول إيديولوجي أم تكتيكي أم سياسي أم ظرفي؟

كتب هنري آلاق في مذكراته بأن مطلب الاستقلال كان موجودا في برنامج الحزب الشيوعي الجزائري، لكن غالبا ما يتم استعادته تحت تعبير "التحرير الوطني" الذي يعني مطلب التحرر الاجتماعي، في حين أن كلمة الاستقلال لا تقترحه. إنه الغموض بعينه؛ وحسب شهادة آلاق دائما فإن هؤلاء الشباب لم يكونوا ليتقبلوا، ولا ليتفهموا غياب الكلمة السحرية "الاستقلال" التي كانت تهز الجماهير وتعظم آمالهم، ولذلك فقد أبقى هؤلاء الشباب المفاوض على التعبيرين (الاستقلال- التحرير الوطني)وتم التوقيع على النص المقترح.(علاق، ه.2007). نرى بأن هذه الحركة التي عرفت تحولا كبيرا في مواقفها -وهي محسوبة عل الحزب الشيوعي الجزائري- استخدمت تلك السياسة للتمويه فقط عن نشاطاتها السرية، وهي سياسة تكتيكية ليس لتأخير شعار التحرير الوطني، أو وضعه في إطاره الصحيح الذي هو الاستقلال كما يدعون بل رفض هذا المصطلح تماما لما يحويه من مصالح تضر بالأقلية الأوروبية التي أغلبية مناضليها منخرطين في نقابات العمال التابعة للحزب الشيوعي. أو كما تم توصيفها من قبل العربي الزبيري بأنها إعلان عن وطنية ضيقة. أما كتابة "هنري علاق" لتلك الحقائق -أي أن الوطنية والاستقلال كان مدرج في برنامج الحزب الشيوعي الجزائري- في مذكراته الموسومة "مذكرات جزائرية Mémoire algérienne" التي صدرت سنة 2006، فنعتقد أنه يصب في خانة تقديم التأويلات لصالح الحزب الشيوعي محاولة منهم لجعل المستقبل لا يتضرر

من الماضي كما يقول المؤرخ محمد حربي. من جهة أخرى نفهم بأن الأمر كله يدور حول مصلحة الأوروبيين المنخرطين في هذا الحزب، وعليه نقول بأن هذا التعنت في الإبقاء على توجه عرقي من شأنه أن يعزل الحزب الشيوعي الجزائري عن الحركة الوطنية، وهو الذي أدى إلى إقصائه. إن ما ذكره "علاق" سنة 2006 تنفيه الحقائق التالية: إن الحزب الشيوعي الجزائري هو الذي عزز نظرية الأمة في طور التكوين، وهو الذي استهزأ من مطلب الاستقلال الذي نادى به الوطنيون سنة 1945 على لسان أمينه العام السيد أوزقان الذي قال: "من غير المسؤولية الحديث عن الاستقلال والبلد لا يزال غير قادر حتى على صناعة إبرة." علق "علاق" على موقف "أوزقان" ونعته بـ"التأكيد العبثي". وشرح تلك الفلسفة قائلا: إذا كان يتعين انتظار بلد تحت نير الاستعمار حتى يستطيع بناء قاعدته الصناعية قبل أن يطالب باستقلاله، يمكن القول أنه لا يمكن لأي شعب مستعمر، وربما يستحيل ذلك أن يكون قادرا على الخروج من الوضع الاستعماري، كون القضية الأساسية لتأخره الصناعي هي بالضبط استمرار تبعيته إزاء المستعمر ذاته."(علاق، ه. 2007 ص 135). وعليه فإن الوطنيين الثوريين الذين كانوا في نظر الحزب الشيوعي الجزائري عبارة عن مشاغبين مستفزين وعملاء قد أعلنوا عن الطلاق مع الاستعمار الفرنسي، لنرى إن كان الحزب الشيوعي سيبقي على أدبياته وقناعاته أم أنه سيغيرها مسايرة للظروف.

الحزب الشيوعي الجزائري والثورة الجزائرية:

1- موقفه من اندلاع الثورة الجزائرية:

كان الحزب الشيوعي الجزائري من أوائل الهيئات والأحزاب الذين عبروا عن مواقفهم إزاء اندلاع الثورة التحريرية، في لسان حالهم "الجزائر الجمهورية" التي نشرت في 2 نوفمبر 1954 بلاغ يتحدث عن أعمال الفدائيين الجزائريين ويصفها بـ"حوادث" من دون إعطاء أي صفة أخرى تدرجها في إطار الأعمال المسلحة. كما

اتفق موقفه مع موقف الهيئات الأخرى حول أسباب هذه الحوادث المتمثلة في القمع ، والاضطهاد والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المزرية، وعلى وجود مشكل سياسي. وكان الإجماع أيضا حول الحل الوحيد الذي يتمثل في الاستجابة للمطامح المشروعة للبلاد. والغريب في الأمر أنه لم يفصل في نوعية المصطلح الذي يمثل أصحاب تلك المطامح المشروعة. وهي نفس السياسة التمويهية المستعملة من قبل؛ فتارة يسميهم بالشعب الجزائري، وتارة أخرى بـ جميع سكان الجزائر، ليتقلص المصطلح إلى جميع السكان بدون وصف. إن هذا التلاعب بالألفاظ لا نعتقد بأنه صدفة بل إنه يعني عدم اكتمال ماهية سكان الجزائر تماشيا مع التمويه الذي صنعته نظرية موريس توريز-ذكر 11 جنس دون 9 أجناس- في 1939 كما يقول نايت بلقاسم.

وباستثناء كلمة الحرية التي وردت مرة واحدة في بلاغ الشيوعيين، بقيت المصطلحات الأساسية مثل المسألة الوطنية، مسألة الاستقلال، مسألة الأمة والدولة غائبة في بلاغات الحزب الشيوعي الجزائري. تلك المصطلحات التي تمثل لب الإشكال مع جبهة التحرير الوطني، التي صاغت بيان أول نوفمبر على قاعدة الاستقلال الوطني والسيادة والدولة الجزائرية. نلخص موقف الحزب الشيوعي من اندلاع الثورة الجزائرية سنة 1954 في الجملة التي قالها نايت بلقاسم : "فالشيوعيون عندنا ضد الثورة المسلحة إيديولوجيا و فكرولوجيا." (نايت بلقاسم، م. 1984). أضف إلى ذلك فقد تكهن الحزب الشيوعي الجزائري لتلك الأعمال بالفشل، لأن الكفاح التحرري في نظره ينتصر كلما قاده الشيوعيون، مثلما هو في الصين، وفيتنام، وفي كل مكان، يحقق أعز المطامح الشعبية.

يدخل ما سبق ذكره في إطار النظرية التي قال بها الكثير من الشيوعيين، وهي أن الثورة يجب أن تنجح في العواصم الامبريالية أو البلدان الأمهات- أي في البلدان الاستعمارية المصنعة، ثم تمتد إلى المستعمرات. نحاول تحليل لماذا لن تنجح

أي ثورة خارج ذلك الإطار على لسان الشيوعي أوزقان. يواخذ هذا الأخير جبهة التحرير الوطني، ليس لاعتبار اختيار العنف كوسيلة كفاح، لكن كسوء تقدير أنسب لظروف استعماله. أعاب عليها أيضا تناقضها مع نفسها، حيث أطلقت التمرد المسلح –يسمي الثورة تمرد– في غياب عامل حاسم لاقتلاع النصر وهو الدعم الأساسي للرأي العام الشعبي. وحسب رأيه فإن غياب هذا الدعم يساوي عملية انتحارية. في جانب آخر يستهزئ أوزقان من المجاهدين ومن جبهة التحرير الوطني، حيث يتساءل: من جاء هؤلاء "الروبين دي بوا Robin des Bois"؟ ماذا يريدون؟ ما هذا FLN الشارة الجديدة المنبعثة من العدم؟ وفي قراءته الأولى لبيان أول نوفمبر كتب أوزقان عن غرابة وتناقض تفكير جبهة التحرير فيما يلي: – الآونة هي أسوأ اختيار – عزلة الأقلية الفعالة. ويعني بتلك الأقلية قادة الحركة الوطنية من أمثاله، لأن الحركة الوطنية هي التي توجه عادة فعل الشعب الجزائري. بالإضافة إلى غياب الدعم الشعبي. كما اتهم الجبهة بالارتجالية، وقال بأن الثورة ليست وصفة دواء يجري إعدادها في مختبر، ولا هي وصفة لتحضير "بورط" . يبدو أن ثقافة أوزقان شيوعية في الصميم حتى في الأكل لأن البورط هو حساء روسي مكون من الشمندر الروسي.(أوزقان، ع. ص 104). كما شبه الثورة بالشكشوكة التي يمكن لأي كان تحضيرها بسبب سهولة فعل ذلك.

يسترسل أوزقان في مسلسل التهجم على جبهة التحرير الوطني ويتساءل: هل يعقل اندلاع تمرد مسلح من غير حزب وطني جيد التنظيم؟ كما عاتب أوزقان جبهة التحرير تجاهلها للأحزاب السياسية المتواجدة في البلاد، والمغروسة في الطبقات العميقة للشعب. ويواصل إعادة سيناريو الخبز الذي فجر انتفاضة 1945. يبدو أن موقف أوزقان هذا ينطلق من فلسفة المثقفين التي تقول بأنهم –أي المثقفين– يجهلون فاعلية العنف بحكم أصولهم الاجتماعية، وتكوينهم الثقافي الفرنسي، لأنهم كانوا يتصورون فرنسا الثورة 1789 التي كانت تنشر مبادئ الحرية والعدالة والمساواة في أوروبا عن طريق إسقاط الملكيات الرجعية واستبدالها

بالجمهوريات، ستواصل مهمتها الديمقراطية بواسطة تقدم التاريخ نفسه. وعليه فإنه يرى في سياسة التشهير بالاستعمار والثورة عن طريق القانون الحل الوحيد لتلك المعضلة.

2- **حقيقة الالتحاق بالثورة الجزائرية:**

في كتابه "الجهاد الأفضل"، يتراجع "أوزقان" عن انتقاداته اللاذعة ضد جبهة التحرير الوطني، ويقول بأن المواقف والظروف هي التي دفعت به لاتخاذ قرارات مخالفة، ليصبح من المادحين للثورة وللمجاهدين، ويسترشد في مدحه بالآية الكريمة:" كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين." (سورة البقرة الآية 249).ثم تساءل : هل ما حصل يناقض التحليل التاريخي لمنهجية لينين؟ يجيب أوزقان: "الأمر لا يكمن في إشكال ذهني ولا يناقض المادية التاريخية، لكن التحليل السطحي للأحداث هو السبب ."ثم اتهم الفريق الاستيطاني الفرنسي لتبديده صفوة التجمع الديمقراطي الأفريقي. كما أعاب على أصحاب شهادات العلوم السياسية تناسيهم بالنسبة للجزائر وجود مبدأ أساسي وعالمي متمثل في نظرية أبو القاسم الشابي: "إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر.(أوزقان، ع. 2005)

قال أوزقان أيضا بأن نظرية الشابي جاءت لتثبت حقيقة فكرة "ماركس" التي تقول" الفكرة التي تسلح الأذرع تصير قوة تاريخية ضابطة سلفا لمستقبل مصير الوجود الإنساني، هذا هو المفتاح المستعمل لاكتشاف الروح الجماعية للشعب، وفي كونه قوة لا يقدر على ترويضها أي عبقري مهما أتى من جبروت." لم يتوقف أوزقان عند هذا الحد من التفلسف لصالح الثورة الجزائرية والشعب الجزائري، بل تعداه إلى لب المسألة إنها مسألة الاستقلال. إنه يوصف هذه الكلمة بالساحرة والمازجة للأمثل والواقعي، ثم يواصل شرحه لكلمتي الاستقلال والوطنية ليقول بأن كلمة الاستقلال أصبحت العمق المشترك للوطن، وهي المحرك الثوري الذي

يقتلع المترددين من الإذعان ليلتحقوا بالعمل الثوري. وبخصوص الدين قال أوزقان بأن الإسلام وعاء وزن وراثي متمهل، ولا هو كابح إيديولوجي جامد في الترتيبات العالمية، ولكنه عصب محرك أكثر ضرورة للثورة من العوامل الأساسية الأخرى. مع ذلك يبقي أوزقان على التداخل بين هيجان الشعب الجزائري من أجل الخبز اليومي. وقدرة هذا الشعب على صنع ثورته الكبرى.

إننا نسجل استفاقة من قبل بعض الشيوعيين أمثال عمار أوزقان، كوش يونس، عبد الرحمان بوشامة، عز الدين مازري الذين تحولوا عن قناعة- كما يقول العربي الزبيري- من قادة شيوعيين إلى قادة وطنيين. يضيف الزبيري بأن مواقف الشيوعيين الأولى المعادية للثورة خدمتها، لأنها فتحت أعين هؤلاء الشيوعيين، حيث تحولوا إلى خادم للقضية الوطنية بانقلابهم على حزبهم بالتنديد (الزبيري، م. ص 166). والذي يقرأ كتاب "الجهاد الأفضل" لأوزقان يجد كما هائلا من التنديد لسياسة ومواقف الحزب الشيوعي الجزائري. ونختار من ذلك بعض المواقف، حيث أعاب أوزقان على إدارة الحزب الشيوعي الجزائري عدم تقبلها لوحدة القاعدة التي تجعل من جبهة التحرير اتحادا وطنيا لا يتزعزع. وانتقد من جهة أخرى اختيار إدارة الحزب الشراكة بالاندماج بالرغم من معرفته للمبادئ الثورية للجبهة الموحدة، ورغم التجربة والوضوح. ونعت تلك السياسة بـ" دبارة الفار على مولى الدار".

برر من جهته الحزب الشيوعي الجزائري تلك السياسة بأن قوة إسهام الحزب كمنظمة للكفاح الوطني ستكون ذات مردود نوعي وقوي أكثر منه لو كان الحزب منحلا. كما قررت إدارة الحزب الشيوعي الجزائري بأن الشيوعيين المنخرطين في الكفاح المسلح لن يكونوا تنظيميا مرتبطين بالحزب. أما بالنسبة للانتماء المزدوج الذي رفضته جبهة التحرير الوطني بشدة، فقد أقرت إدارة الحزب ما يلي:" إن وحدة العمل السياسي في جميع المستويات بين منظمة الجبهة وحزبنا تبدو لنا

الصيغة الأكثر فعالية. إذن هو إقرار من قبل الحزب الشيوعي بعدم حل نفسه، والانخراط في صفوف الجبهة كأفراد. إن إدارة الحزب الشيوعي تعتقد بأن انضمام مناضليها إلى جبهة التحرير الوطني كما أكد ذلك بيان أول نوفمبر، يعني الاعتراف بالزعامة للحركة الوطنية التي انبثقت عنها كل النخبة التي تحملت مسؤولية تفجير ثورة أول نوفمبر -كما يقول العربي الزبيري-. إن مثل هذا الاعتراف يؤدي بالضرورة إلى التخلي عن صفة التنظيم السياسي. وهو أمر مرفوض من قبل المناضلين الشيوعيين ذوو الأصول الأوروبية. (الزبيري، م. ص 167)

ثم إن الواقع يبين بأن الوحدة السياسية والانتماء المزدوج الذي أكد عليه الحزب الشيوعي يناقض تماما مبادئ أدبياته بتجاهله للبند رقم ثلاثة 3 من قوانين الإدارة الذاتية التي تدين بدقة الانتماء السياسي المزدوج. ينتقد أوزقان هذا الأمر وينعت إدارة الحزب الشيوعي الجزائري بالبيروقراطية. لم يتوقف الحزب الشيوعي عند هذا الحد بل ادعى بأنه غير منحل، وأكد على فعالية وحدة العمل السياسي جنبا إلى جنب كحزب أمام الجبهة. وذكر بالإسهام الذي لا يقارن وبالنوعية الممتازة من الشيوعيين التي خدمت الثورة التحريرية.

إن مثل هذا التصريح يدفع الباحث إلى تقصي نشاطات الحزب في السنة الأولى والثانية للثورة لأن هذه الفترة بالذات شهدت مواقف التردد من قبل قيادات الحركة الوطنية، أضف إلى ذلك فإن اندلاع الثورة كان مفاجأة للحركة الوطنية وللإدارة الفرنسية ولذلك فالفترة جد حساسة بالنسبة لعمر الثورة الجزائرية. لقد انتهج الحزب الشيوعي سياسة التردد والتنديد بالثورة منذ الوهلة الأولى، وفي نفس الوقت عمل على التقرب من السلطات الاستعمارية بعلها ترسمه كمفاوض على حساب جبهة التحرير الوطني، حيث أعاد طلب تكوين مجلس وطني جزائري في 4 نوفمبر 1954 يمر بمراحل ثلاث: أولها تأسيس لجان شعبية مؤقتة لجذب الجزائريين المناهضين للاستعمار. ثانيا عقد جمعيات شعبية تحت إشراف الجان المذكورة من

أجل الإعداد للمؤتمر. ثالثا: تكوين لجنة وطنية مؤقتة لوضع ميثاق مشترك. إن الهدف من هذا النشاط من قبل الحزب الشيوعي هو صرف الشعب عن الثورة وإلقاء السلاح، ومواصلة المقاومة السياسية. وفي نفس الوقت يحاول الحزب الشيوعي معاكسة جبهة التحرير في الشق الرافض للالتحاق كأحزاب أو هيئات بهدف خلق الفوضى والتذبذب في صفوف الجزائريين.(الزبيري، م. ص 169)

يتمثل النشاط الثاني في إعلانه لمواصلة تكريس الكفاح السياسي والنضال تحت غطاء الشرعية الاستعمارية، حيث أعلن الدخول إلى معركة الانتخابات التشريعية الجزئية التي كانت مقررة إجراءها في عمالة قسنطينة ضاربا بعرض الحائط لتعليمات جبهة التحرير الوطني التي تشدد على عدم مشاركة الجزائريين فيها. وبررت إدارة الحزب الشيوعي الجزائري ذلك السلوك على لسان أمينها العام السيد "بشير حاج علي" الذي كتب في جريدة الحرية في 31 مارس 1954 بأن تلك الانتخابات المقررة يومي 17 و 24 أفريل 1954 عبارة عن فرصة لا تعوض لفرض التعبير الحر والمطامح الوطنية للشعب الجزائري.

أما ثالث نشاط فهو إنشاء أداة عسكرية تحمل اسم "المحاربون من أجل الحرية"، على اثر القرار الذي اتخذته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي أثناء الاجتماع الذي عقدته في شهر جوان 1955. إن الهدف من إنشاء تشكيلة صدام مستقلة –كما يسميها أوزقان– هو توفير الإطار العسكري الذي يشجع المناضلين الجزائريين للانخراط فيه، ومنعهم من الانخراط في صفوف جبهة التحرير الوطني. وإذا أمكن للحزب الشيوعي أن ينجح في هذا المسعى، فإنه سيجبر جبهة التحرير على قبول مبدأ وحدة العمل السياسي المشترك في إطار احترام الاستقلال السياسي لكل منهما .(بومالي، أ. 286. وأيضا الزبيري، م. ص 175)

والجدير بالذكر أن تكوين هذه الأداة العسكرية جاء في ظروف التي بدأ فيها المناضلون الشيوعيون الجزائريون يراجعون أنفسهم بسبب استيقاظ الروح الوطنية

لديهم، حيث تساءلوا عن حقيقة الصلات التي تربطهم برفاقهم الأوروبيين، ومن ثم التفكير في عملية الانضمام لصفوف الجبهة تماشيا مع مبادئ بيان أول نوفمبر. (بومالي، أ. ص 285)

إن هذه المراجعة للمواقف ربما تكون سببا في فشل هذا التنظيم العسكري، بالرغم من نجاحه النسبي في بعض العمليات ضد الاستعمار الفرنسي. أضف إلى ذلك فإن قسوة الحياة في الجبال جعلت هؤلاء المناضلين الشيوعيين جزائريين وأوروبيين على السواء يملون، وفي ذات الوقت اكتشفوا الفرق الذي بينهم وبين جنود جيش التحرير الوطني الذين أرادوا أن يكونوا ندا لهم. واكتشفوا كذلك احتواء الجماهير لجيش التحرير ومساعدته لهم الشيء الذي انعكس سلبيا على نفسيتهم. أما السبب الذي وضع حدا لنشاط هذه المنظمة هو نجاح الجيش الفرنسي بقيادة الملازم "مايو" في القضاء على معظم المناضلين الذين جندتهم تلك المنظمة وأرسلتهم إلى ناحية تنس والشلف.(أوزقان، ع. ص137. وأيضا بوحوش، ع. 2007.ص 287)

ولأن جبهة التحرير الوطني رفضت أية مساومة على المبادئ والأهداف الواردة في بيان أول نوفمبر من طرف الحزب الشيوعي الجزائري، تفاوض "الصادق هجرس" من أعضاء تلك المنظمة مع "عبان رمضان" بشأن قبول التحاق البقية من المحاربين الشيوعيين في صفوف جيش التحرير الوطني. بالرغم من هذا الفشل الذي مني به الحزب الشيوعي، فإنه ادعى غير ذلك روج لأخبار بأنه ليس منحلا، لأنه جاء بإسهام لا يقارن وبنوعية ممتازة من المناضلين. يرد أوزقان على ذلك أولا بتوصيف هذه الدعاية بالبهلوانية، يضيف بأن تكوين منظمة عسكرية هي محاولة عقيمة. وفيما يخص قضية تنازل الحزب الشيوعي الجزائري عن المحاربون من أجل الحرية يرد أوزقان بأن النفر المكون من ثلاثة عشر فدائيا بينهم امرأتين واحدة هي "دانيال مين (جميلة عمران)"، وحده الذي وقع على تصريح تبعيته لجبهة التحري الوطني. أما عن

الاسهام الذي لا يقارن فيقول أوزقان بأن إدارة الحزب الشيوعي على دراية بالقاعدة الذهنية لتثبيت مجموعة أعضاء الحزب المتطوعين، أو المنخرطين في المجموعات المسلحة، يضيف أوزقان بأن النسبة التقليدية تبقى في حدود العشرة في المائة للتشكيل الشكلي للمشاركين في منظمة قاعدية، وهذا هو العدد المطلوب والمحدد من جانب الحزب الشيوعي الفرنسي فيما يخص عدد المشاركين المعينين في مجموعات المتطوعين الرماة الفرنسيين. إذن لا يمكن اعتبار ثلاثة عشر مقاتلا لكل منطقة الجزائر العاصمة إسهام قوي كما يدعي الحزب الشيوعي. ولا يمكن كذلك اعتبار عدد المقاتلين من 150 إلى 200 لمجموع التراب الوطني بالقوة بل يمثل ضعفا بالنسبة لثورة على أرض وطنها. في حين أن هذا الحزب الشيوعي نفسه كان قديما قادرا عل حشد ألف متطوع جزائري للقتال ضمن الألوية العالمية، ينعت أوزقان ذلك الأمر بالإهانة القاسية. وحول محاولة الحزب الشيوعي الوقوف ندا للند مع جبهة التحرير الوطني بإنشائه لهذه المنظمة العسكرية، يقول أوزقان بأن عدد مقاتلي الحزب الشيوعي يقل بمائة مرة عن مقاتلي جبهة التحرير في المنطقة المستقلة للعاصمة الجزائرية، لأن الجبهة هناك تتوفر على قوة مسلحة بألف فدائي لكل واحد رقمه وسلاحه.(أوزقان، ع. 2005. ص 138)

يحاول أوزقان نفي أي حضور للحزب الشيوعي في الكفاح التحرري مع أنه كان يوما ما أمين عام للحزب الشيوعي الجزائري. مع أن هناك من يؤكد هذا الحضور؛ فهنري علاق يكشف في مذكراته عن إسهامات أعضاء من الحزب الشيوعي مثل العربي بوهالي ومصطفى سعدون وعبد الحميد بوضياف وعبد الحميد غراب ومحمد بوعلام، ومن الأوروبيين هنري مايو وموريس لابان. فقد كان بوهالي مكلفا من قيادة الحزب الشيوعي بتكوين وفد خارجي للحزب الشيوعي الجزائري يكون من مهامه التعريف خارج الحدود بمواقف الشيوعيين الجزائريين، وجلب كل العون الممكن لجبهة التحرير الوطني. بالإضافة إلى مساهمة الشيوعيين كمحاميين للدفاع عن الوطنيين الجزائريين كبول وسيمون بوعزيز من

مدينة وهران. دون أن ننسى تشكيلة هؤلاء المحاميين الشيوعيين المناهضين للاستعمار الذين فضحوا فرنسا من خلال الدعاية التي صنعوها للوطنيين والوطنيات أمثال جميلة بوحيرد وغيرها. كمثال على ذلك تكليف "جاك فرجيس" من قبل جبهة التحرير الوطني بفرع الاستعلامات والدعاية. نختصر بعض أسماء هؤلاء الشيوعيين فيما يلي:

Michèl Beauvillard, Borker, Braum, Marie-Louise Cachin, Cévaer, Dimentstajn, De Félice, Angéline Dominique, Dosse, Douzon, Nicole Dreyfus, Kaldor, Claudine Kopp, Léderman, Manville, Mattarasso, Nordman, Marie-Claude Radiewski, Rappaport, Vergès, Weyl...
(Jacques ,C 2004. p 237-238).

ولا ننسى مساهمات المناضل في الحزب الشيوعي الجزائري "هنري علاق" الذي نحن بصدد الاستشهاد بما كتبه في مذكراته الجزائرية، ارتبط اسم "علاق أساسا بكتابه الاستنطاق La question لتناوله من منطلق الشاهد لقضية التعذيب إبان حرب التحرير. كان علاق وكتابه الاستنطاق سببا في قلب وتغيير الرأي العام الذي انقسم بين مؤيد ومعارض للثورة الجزائرية، وصنع منعطفا في مراحل الثورة ودفع بفرنسا إلى الجلوس إلى طاولة المفاوضات، والاعتراف بجبهة التحرير كممثل شرعي لجبهة التحرير الوطني. يقول علاق" هذا الحضور للشيوعيين ضمن الكفاح سواء في الجزائر أو خارجها –حيث نكاد ألا نجد أحدا من المؤرخين يذكره ..." (علاق، ه.2007 ص348).

لا نعتقد أن أحدا ينكر ما قدمه بعض الأعضاء من الحزب الشيوعي الجزائري من مساعدات خدمة للثورة المسلحة، لكن هؤلاء يعتبرون استثناء وليس قاعدة، ثم أن ما قدموه فعلا كان باسم الحزب الشيوعي الجزائري وليس باسم جبهة التحرير الوطني، وما يؤكد ذلك هو ما كتبه "علاق" نفسه عندما قال إن إدارة الحزب

الشيوعي طلبت من "بوهالي" في رسالة بعدم مغادرة أوروبا، وتكوين وفد خارجي للحزب الشيوعي الجزائري يكون من مهامه التعريف خارج الحدود بمواقف الشيوعيين..."(علاق،ه.2007، ص344) إن ما ذكره آلاق يعني أن الحزب الشيوعي وهو يساعد جبهة التحرير رفض أن يفعل ذلك باسمها، إن هذا الموقف كان أساسا ضد مبادئ ميثاق أول نوفمبر. وسياسة الند للند التي اتبعها هذا الحزب هي التي أفشلته. كما أن الذين التحقوا بصفوف الجبهة من الحزب الشيوعي سواء كانوا جزائريين أو أوروبيين هم قلة قليلة، ولعل ما يثبت ذلك ما قاله أوزقان حول مسألة طلب جبهة التحرير لمناضلي الحزب الشيوعي فرادى الاختيار بين الالتحاق بصفوفها، وبين الحياة المدنية، فمنهم وهم قلة قليلة، من فضل الحل الأول، ومنهم وهم الأكثرية الباقية من اختار العودة إلى بيته أو مغادرة البلاد نهائيا يقول أوزقان.(بومالي، أ. ص 289)

سياسة جبهة التحرير إزاء الحزب الشيوعي الجزائري:

إن المواقف المترددة والمتذبذبة، والمتناقضة للحزب الشيوعي الجزائري إزاء الجبهة التحرير الوطني، جعلت هذه الأخيرة حريصة على إزالة أي التباس، حيث رفضت منذ الوهلة الأولى المساومة على مبادئها وأهدافها دون نقاش. كما أصدرت منشورا في جريدة المقاومة بعنوان:"بيننا وبين الحزب الشيوعي"، جاء فيه: "لقد حاولت مصالح الولاية العامة كما هو شأنها قبيل اجتماع عام لهيئة الأمم المتحدة أن تستغل الحوادث السالفة الذكر لأغراض سياسية، فنسبتها للشيوعيين الذين قالت عنهم، أنهم يعملون باتفاق مع جبهة التحرير الوطني، وتضيف المصالح المذكورة أنه عثر على أسلحة شيوعية وقد تركت في أروقة بعض البنايات ولنلاحظ فورا أن المقاولين لا يرمون أسلحتهم بل يستعملونها، ونوضح أخيرا لإظهار الحقيقة أن الحزب الشيوعي الجزائري لا يعنينا لا من قريب ولا من بعيد، لا ينخدع من الناس، إلا الذين أن ينخدعوا." (بومالي، أ.ص 287)

من جهة أخرى واجهت جبهة التحرير الوطني بحكمة وعقلنه اتهامات واستفزازات الحزب الشيوعي حول قضية إهمال الأقلية الأوروبية الجزائرية، هذه القضية التي أثارت بدورها مجددا مسألة تنوع الأمة في أدبيات الحزب الشيوعي (نظرية موريس توريز السابقة الذكر). لماذا هذا الاتهام؟ كون الحزب الشيوعي الجزائري هو الوحيد المتعدد المجموعات، وكونه الوحيد ذو الأغلبية الأوروبية، فإن مفهوم الأمة كان دائما محل مساءلة عندما يطرح فيه مصير الأقلية الأوروبية. إن الأمة من منظور جمعية العلماء، هي رابطة الأصول، معالمها اللغة العربية والدين الإسلامي. ويركز الوطنيون على غرار العلماء، على العوامل الثقافية في تشكيل الأمة مع إلحاحهم على فكرة السيادة الشعبية. وتبقى مشكلة الانتماء مطروحة بمعنى الضرورة الموضوعية للجوهر وليس الاختيار.

حدثت قطيعة في الإجماع حول هذا الموضوع سنة 1949 عندما طالب مناضلون من حزب الشعب بإعادة تعريف الأمة على أساس بعض المبادئ منها الديمقراطية، والوحدة في التنوع، والتعددية الثقافية، ونشر اللغة الكلاسيكية وتنمية اللغات والثقافات الشعبية، والاعتراف باليهود الجزائريين كأهالي، إعطاء الجنسية الجزائرية للأوروبيين في حالة شعورهم كأبناء للوطن الجزائري، ويعملون من أجله بصفتهم هذه. مع رفع طابوا الدين في تفسير التاريخ الجزائري.(حربي، م.2004. ص167)

إن ما تم ذكره يتناقض جذريا مع طرح الوطنيين الجزائريين المسلمين، وهو يعبر في جوهره على روح نظرية "الجزائر أمة في طور التكوين"، التي تقوم على فكرة الخليط بين المهاجرين الأوروبيين والأهالي المسلمين. يرى "حربي" بإمكانية قيام حوار مثمر حول فكرة أمة جزائرية في طور التكوين لو أخذ التاريخ الحقيقي في الحسبان البعد الثقافي الإسلامي السائد في الجزائر. وكشف"حربي" أيضا بأن التيارات الجزائرية بما فيها جمعية العلماء المسلمين، لم تعارض إمكانية السكان اليهود والأوروبيين الذين يقبلون أن يصبحوا جزائريين، الحصول على الحق في

اعتبار الجزائر بلدهم. يضيف حربي بأن تلك التيارات تتظاهر اليوم بتجاهل ذلك الامر. (حربي، م.2004. ص166)

كانت جبهة التحرير واضحة بخصوص هذه المسألة، حيث حددت ذلك في بيان أول نوفمبر: أولا في ضبط مفهوم الأمة الجزائرية في إطار إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية. ثانيا: في احترامها لجميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني. ثالثا: الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية، ملغية بذلك القرارات والأقاويل، والقوانين التي تجعل من الجزائر أرض فرنسية، وتنكر التاريخ الجغرافيا واللغة والدين والعادات التي يتميز بها الشعب الجزائري. إن ما تم ذكره يناقض تماما نظرية موريس توريز، ويضرب بشدة كل المفاهيم والقوانين التي صاغتها وقننتها تلك الأقلية الأوروبية منذ احتلال الجزائر وإلى غاية 1962.

مع ذلك، فجبهة التحرير الوطني لم تهمل هؤلاء الأجانب الذين ولدوا في الجزائر ويرغبون في البقاء فيها -كما يقول الحزب الشيوعي الجزائري- حيث خيرتهم بين جنسيتهم الأصلية، ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية، وفي هذه الحالة يعتبرون جزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات. هذا في بيان أول نوفمبر، أما في موتمر الصومام فقد طبقت الجبهة إستراتيجية تهدف إلى توسيع الجبهة والاستعانة بالمناضلين التابعين للأحزاب الجزائرية. كما انتهج سياسة ضم الأقلية الأوروبية صافية الذهن، بهدف انتزاعهم من التأثير السيئ للمستعمرين(بكسر الميم). ورمي البقية المتمثلة في البرجوازية الاستعمارية، أصحاب البنوك وملاك المناجم، وصانعوا السفن، وقادة الجيش الفرنسي. وعموما يجب استثناء العناصر المتطرفة من هذه الأقلية الأوروبية.(أوزقان، ع. ص 172-193)

يكشف أزوقان في مذكراته عن بعض النصوص التي اعتبرت في وقت سابق مفقودة، لكن يقول:"وجدناها محفوظة ومنسوخة كمبادئ أساسية للثورة الجزائرية فيما يخص قضية الأقلية الأوروبية". قدم أوزقان في كتابه ثلاثة من تلك النصوص على سبيل المثال: تمثل النص الأول في خطاب اختتام المؤتمر التأسيسي للإتحاد العام للتجارة الجزائرية المنعقد في نادي التقدم 13-14 سبتمبر 1956، حيث النداء الواضح والشجاع إلى وحدة التجار الوطنيين، دون تمييز في الغرق أو اللغة أو المذهب. النص الثاني : الوثيقة الأساسية، أرضية جبهة التحرير الوطني التي تبناها مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956. وخلال مناقشة مسألة الأقلية الأوروبية، وإمكانية دمجها والاستعانة بها لخدمة الجبهة، فصل المؤتمرون في مؤتمر الصومام في أمرين:الأول – رفض السياسة القديمة المتبعة من طرف بعض التشكيلات الوطنية التي ترفض جملة وتفصيلا الجزائريين من أصل أوروبي. أما الأمر الثاني فكان موجه ضد سياسة الحزب الشيوعي، التي تم توصيفها بالانتهازية المبتذلة، لأنه يبالغ في إعطاء أهمية أكثر من اللازم لتلك الأقلية. وبين هذا وذاك كانت الجبهة واقعية في سياستها، حيث وبعد مناقشات واسعة قررت التعاطي مع هذه الأقلية، مع تعليمات واضحة بشأن الألف طريقة للتعامل معها. أما النص الثالث فتمثل في الرسالة المفتوحة من الاتحاد العام للعمال الجزائريين، إلى هؤلاء الشغيلة الجزائريين من أصل أوروبي، المنشورة كبيان لتعتيم الإضراب العام لثمانية أيام بمناسبة مناقشات منظمة الأمم المتحدة جانفي 1957. وملخص تلك الرسالة هو تذكيرهم بأنهم شغيلة مثلهم يتلقون مرتبات، وأنه محتم عليهم أن يعيشوا سوية، وبما أنهم يعملون في نفس الورشة أو المشغل أو الإدارة، فإنهم يعانون من استغلال من قبل الشركات الصناعية والمالية الضخمة، أو المستوطنين الكبار. كما ذكرت القيادة الثورية هؤلاء الشغيلة الأوروبيين بكونهم شهود عيان على الإساءة والإهانة التي يعاني منها الجزائري المسلم. بالإضافة إلى ذلك، أشارت الرسالة إلى قواسم مشتركة أخرى بين الشغيلة الأوروبيين والجزائريين، كون البطالة تمس فئة الشباب

مـن الجـانبين، وكـونهم نقـابيين في السـعي إلى حيـاة أفضـل، وكـونهم كـذلك ديمقراطيون وواعون باستحالة العيش في ظل نظام إقطاعي ملكي أو أوتـوقراطي. وفي الأخير ذكروهم بنفس مبادئ أول نوفمبر، وهـي إرادة الحيـاة الحـرة والتقـدم الاجتماعي في جمهورية حديثة، حيث يكون جميع المواطنين متساويين حقا، دون أي تمييز عرقي أو لغوي أو مذهبي.(أوزقان، ع. ص 187)

نلاحظ من خلال هذه النصوص الثلاثة تحاشي أو تجنب الحديث عن الفـوارق بين الطبقات، وعن العقيدة الكولونيالية والعنصرية لدي هؤلاء الشغيلة. في المقابل ركزت النصوص الثلاثة على القواسم المشتركة التي تجمع بين المجموعتين الأوروبية والمسلمة. كما حاولت تلك النصوص اجتذاب هؤلاء الأوروبيين مستعينة بفلسفة الطبقة الشغيلة، وعلى الأهداف التي تحارب من أجلها تلك الطبقـة وهـي الظلـم والاستغلال والبطالـة. هـذا الثـالوث الـذي يمثلـه عـدو مشـترك هـو الاسـتعمار الفرنسي. إن تركيز الشيوعيين علـى هـذه الآمـال المشـتركة يعـني الأخـذ بنظريـة المستشرق "رينان" الذي يركز على الأمة التي توحدها رابطة الآمال، والـتي شـجعها شارل أندري جوليان إلى حد جعلته يواخذ الوطنيين الجزائـريين علـى اسـتنادهم كثيرا على التاريخ للتدليل على وجود أمة جزائرية قبل 1830.

سنتحدث عن قضية أخـرى سـاهمت فيهـا جبهـة التحريـر طوعيـا وبكتمـان وفعالية بهدف القضاء على الخوف والحذر والحقد العنصري الذي صنع الهوة بين الجزائريين والأوروبيين، وبخاصة بعد أحداث 20 أوت 1955، حيث رفعت شـعار طلب الاحتكاك الشخصي المباشر مـع الجزائـريين مـن أصـل أوروبـي. وجـاءت الفرصة التي دعمت مسعى جبهة التحرير في قيام المستوطن الأوروبي –صـاحب جائزة نوبل- ألبير كـامو بتوجيـه نـداء مـن أجـل الهدنـة المدنيـةLa trêve civile ، لاحترام الأطفال والنساء والشيوخ. والتقت فكرة كامو مع الشعور الذي عبر عنه الشيخ العربي التبسي الساخط أمام تلك المجازر البشعة المتكررة في تبسـة وغيرهـا،

من قبل الفرقة الأجنبية ضد النساء والأطفال. إن هذا الشعور المشترك بين جزائريين ذو أصل ولغة وجنس ودين مختلف صنع استثناءا في مواقف الجبهويين الرافضين لأي تعاون مع هؤلاء الأوروبيين. مع ذلك سمحت لمناظليها في العاصمة الجزائرية بالانخراط في مشروع الهدنة المدنية، بهدف جمع الجزائريين من ذوي الإرادة الحسنة تماشيا مع مبادئ أول نوفمبر دون تمييز في العرق أو الدين. من جهة أخرى كسر حاجز الخوف الذي ينعت المسلمين بالعنصريين الكارهين للجزائيين غي المسلمين. أضف إلى ذلك محاولة انتزاع الديمقراطيين الأوروبيين من ترددهم وجمودهم، ومن عزلتهم الطوعية.

على أساس ما تم ذكره تشكلت لجنة الهدنة المدنية دون خلفيات تحزبية أو انتخابية، التي قررت تنظيم اجتماع لمناقشة روح المبادرة هذه، من أجل إيجاد الآليات الكفيلة لإفشال عنصرية المتطرفين. وأمام الوقوف على مجاملة السلطات الفرنسية لهذه المبادرة، وتواطؤ أجهزة الأمن، أعلن المتطرفون رفضهم لمشروع "كامو" الداعي لاحترام الأطفال والنساء والشيوخ. وردا على استفزازات المتطرفين الأوروبيين، قرر أعضاء لجنة الهدنة المدنية مع أعضاء لجنة تنظيم الملتقى تغيير مكان الاجتماع الذي كان مقررا في قاعة فندق المدينة، واستبداله بنادي الترقي لسهولة التحكم فيه. ولعبت جبهة التحرير دورا لا يستهان به لإنجاح هذا الملتقى، حيث تكفل مسؤول مدينة الجزائر وزعيم الجماعات المسلحة السيد "حديدوش" بمفرده بمهمة استنفار القصبة لمحاصرة الفرق الفاشية، واتخذت إجراءات أمنية استثنائية من متطوعين لقضاء الليل في نادي الترقي كحراس. بالإضافة إلى مفرزات الحراسة الكثيفة التي احتلت صباح ذلك اليوم القاعة الكبرى، ومختلف الملحقات من مكتبات وبهو...الخ. وانطلقت أشغال ذلك المؤتمر بحضور شخصيات من الجانبين؛ ألبير كامو ومجموعته، وتوفيق المدني وفرحات عباس وأحمد فرنسيس. جسد ذلك الحضور المشهد الفريد لأخوة فردوسية -كما يقول أوزقان-. لقد أكد المؤتمرون على ضرورة ردع العنصريين عن طريق إنشاء تعبئة سرية للدفاع المدني

من جيش ضخم من العتالين والمارة والسكان المجهولين للقصبة.(أوزقان، ع. 2005.ص 187)

لعل الشيء الايجابي في هذه المبادرة هو الجمع بين الشبيبة والنخبة التقليدية معا، هذا من جهة، زمن جهة أخرى، خلق مكان للحوار وإمكانية التعايش بين أصحاب النيات الحسنة من الجانبين الجزائري والأوروبي. غير أن هذه المبادرة لم يكتب لها النجاح، بالرغم من أن الحاكم العام "جاك سوستال" كان قد تقبلها بعد المقابلة التي جمعته بـ"ألبير كامو". لكن ذلك القبول للهدنة المدنية لم يكن يعني سوى صياغة من سوستال لوقف النار من أجل السلام، مع توسع إطار الاتفاق ليشمل الحركة الوطنية الجزائرية MNA بهدف عزل جبهة التحرير الوطني. وجاءت الضربة القاضية لهذا المشروع من الحاكم العام الجديد "روبير لاكوست"، الذي رفض تلك الهدنة، وهدد بسحق كل محاولة قد تعيق سياسته المتمثلة في خيار الفاشية لإنقاذ الاحتلال.(أوزقان، ع. 2005.ص 182-183)

أما من الجانب الجزائري وبصفة عامة، لم يكتب لسياسة الجبهة النجاح اتجاه الأقلية الأوروبية -التي كانت تمثل التركيبة الأساسية للحزب الشيوعي الجزائري- بسبب المعارضة التي واجهتها من قبل قادة الثورة من الداخل والخارج. فالكثير من المجاهدين والقادة أعابوا على أن يكون المحرر الأساسي للوثيقة الأساسية لمؤتمر الصومام هو الأمين العام السابق للحزب الشيوعي الجزائري السيد أوزقان، لأنه ترك بصمات الأيديولوجية الشيوعية في تلك الوثيقة كتجاهل الجوانب الإسلامية والعربية للثورة الجزائرية. في المقابل برزت أفكار المذهب الماركسي والنضال ضد الامبريالية والاستعمار، واتهم مصر في تقصيرها مع الدول العربية في تأييد الثورة الجزائرية بسبب خضوعها لاملاءات فرنسا، كما أنه فتح الباب على مصراعيه للأوروبيين، لتتحول من نظرية الجزائر الأمة في طور التكوين (نسبة إلى توريز)إلى الجزائر الأمة التي توحدها رابطة الآمال (نسبة إلى "رينان").

أدى كل ما سبق ذكره إلى نشوب صراع قوي بين عبان رمضان -صاحب مبادرة فتح الأبواب لكل الشرائح في الجزائر، وبخاصة الشيوعيين الجزائريين والأوروبيين على السواء- والقادة الآخرين الذين مازالوا حريصين على رفض الشيوعيين والأقلية الأوروبية بخاصة. وفي نفس الوقت يحرصون على كسب تأييد مصر والدول العربية. في شهادته على العصر، كشف بن بلا- أحد الزعماء التسعة المفجرين للثورة الجزائرية الذي كان ينتمي إلى قادة الخارج- عن الأسرار التي جعلته يقول بأن مؤتمر الصومام كان بداية لانحراف الثورة، وأنه أول ردة ضد الثورة الجزائرية وأصولها، وأنه خيانة للثورة الجزائرية، خيانة لانتماءاتها الأساسية العروبية الإسلامية. كما أكد بن بلا رفضه شخصيا ومحساس وحتى بوضياف لمقررات مؤتور الصومام. وعندما سأله الصحافي أحمد منصور" عن إمكانية وجود قوة خارجية تقف وراء هذا المؤتمر، كانت إجابته تمثل القنبلة التي جاءت على كل ما ذكرناه سابقا من إمكانية كسب الأقلية الديمقراطية الفرنسية صافية الذهن، حيث قال بأننا وجدنا في المقررات الخاصة بمؤتمر الصومام خطة ترتب من أجل اكتساب الفرنسيين الديمقراطيين، وإدخالهم في إطارنا. وتساءل بن بلا عن نوعية الطلبات والاطارات الثقافية الموجودة التي يمكن إدخالها إلى الجبهة، ثم أعلن عن موقفه "فنحن كنا ضد هذا، فنحن تحت احتلال فرنسي واستعمار استيطاني، مليونين ونصف المليون من الفرنسيين موجودين على أرضنا ينهبون خيراتها، كيف أدخل هؤلاء معي وأنا في الأصل أقاومهم وأقاوم وجودهم على أرضي...كيف أسمح في ظل وجود ثورة بأقلية فرنسية داخلي على ادعاء أنها ديمقراطية... (بن بلا، أ. ص 131-132)

إن ما صرح به بن بلا يناقض تماما ما كتبه أوزقان عن إمكانية التعاون بين الطائفتين، واحتمال قيام جمهورية ديمقراطية تجمع بين الطائفتين. إلى جانب ما كتبه وصرح به الرافضون لقرارات مؤتمر الصومام من قادة ومجاهدين، تجنح الكتابات بأقلام عربية جزائرية كذلك إلى رفض الحزب الشيوعي الجزائري جملة وتفصيلا،

بسبب تشكيلته الأوروبية التي جعلته يفرض مبادئ الشيوعية البعيدة عن كل البعد عن مبادئ أول نوفمبر التي تضع البعد العربي الإسلامي فوق كل الاعتبارات. أضف إلى ذلك فإن تلك الكتابات تؤكد بأن تسمية الحزب الشيوعي بالجزائري لا تعدو أن تكون مجازية في جوهرها بالنظر إلى سيطرة العناصر الأوروبية على الحزب وانتفاء العناصر الجزائرية المسلمة.(خيثر، م.ص 312)

خلافا لما تم ذكره، يرى العربي الزبيري بأن مواقف الشيوعيين الفرنسيين المعادية لفكرة الوطنية والاستقلال، أدت إلى إسقاط الروح الوطنية للقادة أو المناضلين في الحزب الشيوعي الجزائري، الأمر الذي جعلنا نعرف -يقول- أمثال أوزقان وآخرون، الذين انقلبوا عن قناعة من قادة شيوعيين إلى مناضلين وطنيين كما سبق الذكر.(زبيري، م. ص 166).

إن المطلع على مذكرات هؤلاء المناضلين المحسوبين على التيار الشيوعي أمثال عمار أوزقان، محمد حربي، مصطفى الأشرف، يجدها تحوي قدرا كبيرا من مراجعة النفس أو اكتشافها -إن صح التعبير-. كما نجد توظيفا لا يستهان به للقرآن الكريم، والحديث عن العروبة والإسلام وكمثال على ذلك نجد عنوان مذكرات أوزقان "الجهاد الأفضل" مأخوذة من وصية الرسول- ص- :"أفضل الجهاد، هو كلمة حق عند سلطان جائر." من جهة أخرى نستغرب من شهادة مدير صحيفة الحزب الشيوعي" الجزائر الجمهورية" هنري علاق المحسوب على الأوروبيين في الحزب الشيوعي الجزائري حين يقول على أوزقان بأنه بعد عبور الصحراء انظم لاحقا إلى جبهة التحرير الوطني وكان أحد الحر رين الأساسيين لميثاق الصومام الذي يعتبره "علاق الوثيقة الأيديولوجية. يضيف بأن أوزقان ضمن تلك الوثيقة تهجمات مناهضة للشيوعيين. وفي وثيقة أخرى -يقول علاق- اتقد أوزقان بشدة العربي بوهالي الذي أخذ مكانه على رأس اللجنة المركزية التي انتقدته بشدة، ليقول ما يخالف ما ذكره العربي الزبيري" ويبقى خمسين سنة لاحقا أن أوزقان كان

يحسب من بين ضحايا حزب كان بإمكانه أن يعاقبه، ولأنه أمام مسئولين بيروقراطيين وغير قادرين على التحرر من الضغوط الاستعمارية، ومن وصاية الحزب الشيوعي الفرنسي، يكون الوحيد الذي دافع عن سياسة جزائرية صائبة وذلك برأي الخبراء أو الكتاب الموسميين في حين أن الحقيقة هي على النقيض تماما." (علاق، ه. ص 138-139)

إذن يكشف علاق بأن التحاق أوزقان بالثورة الجزائرية لم يكن صادقا، وأضاف قائلا بأن أوزقان كان متعنت لأنه أبقى على التوجه العرقي. وبين هذا وذاك لا نستطيع أن نجزم من الرأي الصحيح من كل مما سبق ذكره.

لكن الذي نراه منطقيا هو السعي للمزيد من الكتابات التاريخية من الجانب الجزائري بخصوص الجانب الفرنسي لصناعة نوع من التوازن أمام الكم الهائل من الكتابات الفرنسية حول الثورة الجزائرية، لتحقيق ما يسميه المؤرخ الفرنسي ذو الأصول الجزائرية "بن يمين ستوراً" التعايش بين الذاكرتين الجزائرية والفرنسية. ويعني ذلك أن نسعى لتحقيق ما عجز عن تحقيقه أنصار عبان رمضان وأوزقان وبن بلا ومحساس وبوضياف وغيرهم، أي قبول النظر إلى الماضي نظرة موضوعية من قبل الطرفين الجزائري والفرنسي.

خاتمة:

-عندما تأسس الحزب الشيوعي الجزائري سنة 1936، لم يكن ليمثل تطلعات حقيقية للشعب الجزائري، لأنه تأسس أساسا على أنقاض فيدراليات جزائرية كانت تابعة للحزب الشيوعي الفرنسي. لذلك لم يتمكن هذا الحزب من الاستقلال بقراره السياسي.

-إن التركيبة البشرية الأوروبية التي تكون منها الحزب الشيوعي الجزائري جعلت برامجه وأهدافه تعكس التطلعات والطموحات الاجتماعية للجالية الأوروبية. أما الجزائريين المسلمين الذين انخرطوا في هذا الحزب فلم يكن ليعول

عليهم في خدمة القضية الوطنية، لأن أغلبيتهم موظفين ومدرسين يعيشون على الطريقة الفرنسية بسبب تعليمهم الفرنسي، وزواج أغلبيتهم من فرنسيات الشيء الذي جعل مواقفهم على نفس خط الاندماجيين .

- إن تبعيتهم للحزب الشيوعي الفرنسي جعلتهم يؤمنون بنظرية موريس توريز التي تنفي وجود أمة جزائرية، وفي المقابل تقول النظرية بوجود أمة جزائرية في طور التكوين. هذه النظرية جعلت الحزب الشيوعي الجزائري يقف ندا لكل المحاولات والمساعي الوطني والاستقلالية قبل اندلاع الثورة الجزائرية.

-بإتباع سياسة رشيدة تمكنت جبهة التحرير الوطني من جذب كوادر شيوعية إليها بعد أن رفض الحزب الشيوعي حل نفسه والامتثال لتعليمات الجبهة، بل ونصب نفسه ندا ومنافسا لها إلى غاية الاستقلال.

-كانت المسألة الوطنية هي الحاجز الذي يصعب على الحزب الشيوعي الجزائري اجتيازه، هذا الحاجز هو الذي حرمه من أداة التخاطب مع الشعب الجزائري.

-تحولت مسألة احتواء كل الجزائريين بما فيهم الأوروبيين من بعض قادة الثورة في مؤتمر الصومام إلى صراعات بين الجزائريين، لأن وجود هؤلاء الشيوعيين كان انحراف عن مبادئ أول نوفمبر في الشق الخاص بالبعد الإسلامي العربي.في المقابل أدت سياسة عبان رمضان وأتباعه إلى تعديل نظرية موريس توريز الجزائر أمة في طور التكوين إلى نظرية الجزائر أمة التي توحدها رابطة الآمال لأرنست رينان. ولم يتوقف الأمر عند مؤتمر الصومام ، بل تداعت تلك الأفكار والأطروحات لترتسم في آخر وثيقة إيديولوجية للثورة الجزائرية ميثاق طرابلس جوان 1962، الذي انفرد عن باقي البرامج الأخرى بتحليله لخصائص الأمة الجزائرية ومسألة السيادة الوطنية وقضايا مهمة أخرى. لكن عدم إقرار وثيقة طرابلس بالمبادئ الإسلامية كإطار للدولة الجزائرية المستقلة جعلها محل انتقاد من بعض قيادات الثورة التي اعتبروها نوعا من الشيوعية غير المهضومة جيدا. ولنا في هذا الموضوع حديث آخر إن شاء الله.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- الزبيري محمد العربي: الثورة الجزائرية في عامها الأول. دار البعث، الجزائر، ط1، 1984.

-أوزقان عمار: الجهاد الأفضل، ترجمة:ميشال سطوف وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005.

- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.

- بن بلا أحمد: الرئيس أحمد بن بلا يكشف عن أسرار ثورة الجزائر. دار ابن حزم ، بيروت، ط1، 2007.

- بن أزواو فتح الدين: إيديولوجية الثورة الجزائرية. رسالة ماجستير غير منشورة، من إشراف: محمد العربي الزبيري، قسم التاريخ – جامعة الجزائر، 2001.

- بومالي أحسن: استراتيجية الثورة في مرحلتها الأولى 1954-1956. المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، [ب.ت.ط]

- حربي محمد: حياة تحد وصمود. ترجمة: عبد العزيز بوباكير، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

- حربي محمد: الثورة الجزائرية سنوات المخاض. ترجمة نجيب عياد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994.

- خيثر عبد النور وآخرون: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية. المطبعة الرسمية، الجزائر، 2007.

- علاق هنري: مذكرات جزائرية. ترجمة جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

- ماركس كارل،انجلز فريدريك: بيان الحزب الشيوعي. ترجمة فرانسوا شاتوليي، باريس،1981.

- مهساس أحمد: الحركة الثورية في الجزائر. ترجمة: الحاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003.

- نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية على أول نوفمبر داخلا وخارجا. دار البعث، الجزائر، 1984.

باللغة الأجنبية:

-Julien Charles-André: Une pensée anti-coloniale. Editions Sindbad, Paris, 1979.

- Jacques Charby : Les Porteurs D'Espoir.Editions La Découverte, Paris, 2004.